مجلة ميلاف للبحوث والدراسات
المجلد8 العدد 1 / جوان 2022
ص ص 340 – 357

نظرية الأفضية الذهنية في البحث اللساني العرفاني العربي بين النظرية والتطبيق.

The theory of mental spaces in Arabic cognitive linguistic research between theory and application.

سعودي جهيدة[1]*، قبايلي عبد الغاني [2]

[1] المركز الجامعي ميلة عبد الحفيظ بو الصوف، مخبر المتخيل الشفوي بين حضارة المشافهة من جهة وبين حضارتي الكتابة والصورة من جهة أخرى، (الجزائر).

s.djahida@centre-univ-mila.dz

[2] المركز الجامعي عبد الحفيظ بو الصوف، ميلة، مخبر السيميائيات (الجزائر)،

Kba.ghan83@gmail.com

الاستلام: 2022/03/03 القبول: 2022/06/10 النشر: 2022/06/30

ملخص:

أنتج التطور المستمر للسانيات فروعا علمية عديدة أحدثها اللسانيات العرفانية وما تأسست عليه من نظريات لدراسة الدلالة والتركيب.

بناء على هذا خصص البحث الموسوم بنظرية الأفضية الذهنية في البحث اللساني العرفاني العربي بين النظرية والتطبيق لدراسة نظرية الأفضية الذهنية من وجهة نظر عربية تنظيرية وتطبيقية، كونها أحد نظريات اللسانيات العرفانية، والهدف المرجو من البحث تحديد قيمة نظرية الأفضية الذهنية في البحث العربي في ميدان اللسانيات العرفانية ونظرياتها، وضبط طبيعة التلقي العربي للنظرية، وذلك انطلاقا من التساؤلات التالية: ما هي نظرية الأفضية الذهنية وما إجراءاتها؟ ما هو التصور العربي لنظرية الأفضية الذهنية في البحث اللساني العربي؟ ما هي طبيعة التطبيق العربي لنظرية الأفضية الذهنية؟

والإجابة عن هذه التساؤلات اقتضت مقاربة وصفية للوصول إلى تحديد وضعية التلقي العربي لنظرية الأفضية الذهنية، وكانت النتيجة أن نظرية الأفضية الذهنية لم تحظ بدراسة لسانية عربية كافية وشاملة لجميع قضاياها.

الكلمات المفتاحية : الأفضية الذهنية؛ الدالة التداولية؛ مبدأ التعيين؛ بناة الأفضية؛ البحث اللساني العرفاني العربي.

Abstract:

The continuous development of linguistics has produced many branches of science, most recently cognitive linguistics with the theories based on it for studying semantics and syntax.

Accordingly, this article deals with the theory of mental spaces (MS) from an applied and theoretical Arabic perspective. As one of the theories of cognitive linguistics, the purpose of this research is to determine the value of MS theory in Arabic research through the field of cognitive linguistics. Knowing the nature of the Arab reception of this theory is based on the following questions: what is MS theory and its procedures? What is the Arabic perception of MS theory in Arabic linguistic research? What is the nature of the Arabic application of MS theory?

*المؤلف المراسل

The answer to these questions required a descriptive approach to determining the status of Arab reception of MS theory, and the most important result was that the theory of MS did not receive sufficient and comprehensive Arab linguistic study of all its issues.

Keywords: Mental Spaces; Pragmatic function; Identification principle; Space builders; the Arab cognitive linguistic research.

1.مقدمة:

قدمت اللسانيات العرفانية (Cognitive Linguistics) منذ ظهورها إلى الآن مجموعة من النظريات لدراسة اللغة على مستوى الدماغ البشري إنتاجا وفهمًا وتأويلا؛ منها نظرية الاستعارة التصورية(Conceptual Metaphor) التي تمثل أولى نظريات اللسانية العرفانية بظهورها عام 1980 مع كتاب الاستعارات التي نحيا بها، وغايتها شرح معالجة الدماغ البشري للاستعارات المستعملة يوميا، ونظرية الأفضية الذهنية (Mental Spaces)1984 التي تعد إحدى نظريات الجيل الثاني من اللسانيين العرفانيين التي أسسها الفرنسي جيل فوكونيي (Gilles Fauconnier) واهتمامها منصب على المعاني وتكاثرها وترابطها ببعض على مستوى الذهن البشري أثناء عملية التواصل اللغوي.

ومع التطور المستمر الذي تشهده اللسانيات العرفانية أصبح لزاما معرفة موقعها عند الباحثين العرب سواء في الكتابة التنظيرية أم في البحث التطبيقي على اللغة العربية لذلك تنظر هذه الورقة البحثية في الدراسات اللسانية العربية وإجراءاتها التنظيرية والتطبيقية المتخذة من نظرية الأفضية الذهنية موضوعا لها وذلك انطلاقا من التساؤلات الآتية: ما هي نظرية الأفضية الذهنية وما إجراءاتها؟ ما هو التصور العربي لنظرية الأفضية الذهنية في البحث اللساني العربي؟ وما طبيعة التطبيق العربي لنظرية الأفضية الذهنية؟

لذلك يتعيّن على البحث تحديد المفهوم والتصور العربي لنظرية الأفضية الذهنية في الدراسات والبحوث النظرية والتطبيقية وقيمة هذه الدراسات العلمية في البحث اللساني العربي، ولوضع الأسئلة المطروحة في إطار علمي مضبوط لابد من تحديد الفرضيات التي يتأسس عليها البحث وهي:

- إمكانية إجراء ضبط أعمق لمفهوم نظرية الأفضية الذهنية عند مؤسسها الأول جيل فوكونيي، وتحديد المبادئ والإجراءات التي تعتمدها في نظرتها الجديدة للغة والمعنى على المستوى الذهني العرفاني.
- وجود جهود لسانية عربية عالجت نظرية الأفضية الذهنية أو بحثت في أحد المقولات المكونة لها سواء بالتنظير أو بالتطبيق على اللغة العربية.
- محاولة تقييم وضع البحث العربي في اللسانيات العرفانية عامة ونظرية الأفضية الذهنية خاصة.

وتسعى الإجابة عن الأسئلة السالفة محاولة إثبات الفرضيات المطروحة والتعرف على جهود اللسانيين العرب في إفراد نظريات اللسانيات العرفانية بالبحث والتحليل كل على حدة، خاصة نظرية الأفضية الذهنية بالدراسة كونها إحدى أولى نظريات اللسانيات العرفانية التي لها اتصال بمجال معرفي آخر هو التداولية (Pragmatics) وبصورة أدق التداولية العرفانية (Cognitive Pragmatics) لذلك سيكون هذا البحث محاولة لعرض موقع هذه النظرية في

البحث العربي كونها تتصل بمجالين علميين، كما سنعرض أثناء دراستنا لنظرية الأفضية الذهنية عند العرب بعض الرؤى التقييمية لهذه الدراسات العربية.

ولتحقيق الأهداف المرجوة من البحث سنجيب عن الأسئلة السالفة بمقاربتها وصفيا من خلال ترتيب ممنهج في الطرح بدايته ضبط مفهوم نظرية الأفضية الذهنية ومبادئها التي تعتمدها في دراسة اللغة، ثم النظر في أهم المؤلفات اللسانية العربية التي تناولت نظرية فوكوني بالتنظير والتطبيق، فالتعقيب بعدها ببعض الآراء النقدية نوضح من خلالها وضع نظرية الأفضية الذهنية العربي، وخاتمة للنتائج المتوصل إليها في النظرية محل الدراسة.

2. نظرية الأفضية الذهنية مفهومها وإجراءاتها:

1.2. المحتوى المفهومي لنظرية الأفضية الذهنية:

من الملاحظ أن مصطلح " نظرية الأفضية الذهنية " مركب من لفظتين هما الأفضية، الذهنية ومن الجدير بالطرح التعريج على كل مصطلح منهما على حدة.

ترد مفردة "فضاء (Space) في كثير من المجالات العلمية كالهندسة، الفلك، وأصبحت ترد الآن في العلوم الإنسانية خاصة في العلوم العرفانية واللسانيات العرفانية لتدل على المكان أيّا كان اتساعه. وفي اللسانيات العرفانية الفضاء " مجال تصوري أساسي يستخدم في نظرية الاستعارة التصورية، والنحو العرفاني، ومقاربة النظام التصوري المُبَنيَن ومبدأ تعدد المعاني، ويتألف مجال الفضاء من وقائع يمكن أن تكون متكاملة أو متمايزة، ومواقع تشغلها هذه الوقائع. وتُستمد طبيعةُ هذا المجال من الميكانيزمات المحورية للإدراك التي توفرها التجربة الحسية ومن ثمة تيسير فهم التصورات الفيزيائية لبيئتنا الفيزيائية الخارجية (evans, 2007, p. 202)، ليكون الفضاء المقصود هو العالم المتصور الذي تتشكّل فيه الأفكار أو الأفعال والأزمنة والأمكنة وغيرها من المواد المكونة له، وتنتظم وتتمثّل فيه الماديات التي نحتك بها بواسطة التجربة والمجردات على السواء.

الذهنية: مفردة منسوبة إلى الذهن الذي يمكن أن نفهمه بناء على التصورات الفلسفية التي حاولت تحديد ماهيته، وفهم طبيعته على أنه شبكة من العمليات الصورية المجردة التي تتم على مستوى الدماغ وتعمل على تصوّر العالم الخارجي المادّي، لكن تحديد جوهر الذهن وطبيعته ظل محلّ جدل لدى الفلاسفة؛ حيث سعوا لحله انطلاقا من مناقشة مشكلة الذهن – الجسد، التي أسفرت عن وجهتي نظر إلى الذهن إحداهما ترى أنه ذو طبيعة فيزيائية؛ أي أنه قابل للوصف بالعلم الفيزيائي (تشومسكي، 2005، صفحة 233) وهذا ما يجعله ماديا، والأخرى ترجع جوهر الذهن إلى كونه شعورا يتسم بأنه ظاهرة بيولوجية كأية ظاهرة أخرى، مما يجعله ظاهرة مادية بمعنى ما، فهو جزء من جهازنا البيولوجي. ومن ناحية أخرى، لا يمكن اختزال الشعور إلى أية عمليات تتكون من ظواهر فيزياوية يمكن وصفها حصرا بألفاظ الغياب الفيزيائية. وحتى نفهم جوهر الذهن بوصفه شعورا لا بد لنا من تغيير المقولات حتى ندرك أن الشعور مادي تماما، وهو في الوقت نفسه عقلي غير قابل للاختزال(سيرل، 2006، الصفحات 106-107) وهذا يجعلنا ننظر إلى الذهن على أنه ذو طبيعة مادية من جانبه البيولوجي الذي يجعله عضوا كبقية الأعضاء البشرية الأخرى، إضافة إلى أنه غير قابل لأن يحصر في مجموعة من العمليات المادية التي يمكن تحديد تسميتها، وهذا ما يعطيه صفة التجريد، فالذهن في جوهره مزيج مادي ومجرد،

ولا يمكن فهم الذهن دون محاولة مزج هذين الجوهرين.

تأسيسا على المفاهيم والدلالات التي تحملها مكونات مصطلح الفضاء الذهني (Mental Space) يمكننا أن نتصور أنه عالم قائم في الذهن يضم المعلومات والتّمثّلات التي يشكلها الدماغ البشري عن العالم الخارجي، ويحيل بها عليه أثناء عملية التواصل، أمّا فوكونيي فيقول: " أتصور أن الأفضية الذهنية تبنى من بنى لسانية متمايزة لكنها تتنامى في أي خطاب حسب الشروط التوجيهية للعبارات اللسانية، على سبيل المثال: الأفضية الذهنية التي سيتم تمثيلها على أنها فئات مبنية ومتنامية، منها فئات مع عناصر (a, b, c,...) وعلاقات تربط بينها (R_1ab, R_2a, R_3cbf, ...) ويمكن إضافة عناصر جديدة لها لتقوم بينها علاقات جديدة." (fauconnier, 1994, p. 16) مما يجعل الفضاء الذهني حسب فوكونيي عبارة لسانية متعلقة بملابسات خطاب محدد يسمح بتكاثرها كلما اتسع من خلال إضافة عناصر لسانية جديدة تخدم سياق الخطاب، وترتبط بالعناصر الأولى هذا ويعرّف الفضاء الذهني أيضا أنه " منطقة تحتوي معلومات معينة منظمة في شكل حزم مؤقتة يتم بناؤها كجزء من عملية تفسير النصوص (المنطوقة أو المكتوبة) مثلا عند تفسير جملة: إن قَبِلَتْ سيَرفُضْ، ينشأ فضاء ذهني واحد لمعالجة البناء المشروط ومعناه المقابل الموجود في فضاء ذهني مختلف عن الفضاء الذي يتكلم عنه المتكلم(Miller & Brown, 2013, p. 283)، ولا يقتصر الفضاء الذهني على التعبير عمّا نتصوره من تجاربنا اليومية التي نكتسب منها المعارف ونحيل إليها في استعمالنا، بل هناك أفضية متخيلة ومتمثّلة في الذهن غالبا ما تنتظم فيها المجردات من أفكار ومعارف مخزنة وغير ذلك.

والفضاء الذهني هو ما يشكّل أساس نظرية جيل فوكونيي (Gilles Fauconnier) الأفضية الذهنية 1984 التي طرحها في كتابه «الأفضية الذهنية: مظاهر من بناء المعنى في اللغات الطبيعية» (Espaces menteaux, Aspects de la construction du sens dans les langues naturelles) وترى نظرية فوكونيي المطروحة أن اللغة بناء ذهني مجرد لفضاءات وترابطات بين الأفضية، تتنامى كلما استدعتها عملية التواصل، مما يدل أن النظرية وضعت لإعطاء وجهة نظر جديدة في تحليل اللغة وإنتاجها ذهنيا.

وقد سبق استعمال مصطلح الفضاء قبل نظرية فوكونيي الأفضية الذهنية من قبل رولاند لانغاكير(Roland Langacker) فيما سماه الفضاء النحوي (Space Grammar) ثم تحول إلى النحو العرفاني (cognitive grammar) وقام تصور الفضاء النحوي على مناقضة الأطروحات التقليدية في النحو، أما النحو في تصوره الجديد وبمصطلحات الفضاء النحوي، فهو مخزون مُبَنْيَنٌ من الوحدات اللسانية المتواجدة نحويا مع محتوى وحدات تشرحها، وعلاقتهما ديناميكية تفاعلية، وتُنشِئ خطاطة مشتركة من ترتيب محتوى الوحدات المثبت سابقا؛ لاستخلاص وإدراك جميع التشابهات التي تربط هذه الوحدات وتجردها بعيدا عن نقاط اختلافها. وتجدر ملاحظة أن الخطاطة هي آليات الوصف التجريدي الوحيدة المتموضعة في الفضاء النحوي، وهي الوظيفة المعادلة

للقواعد وتشتمل على التعميمات لكنها محصورة جدا، وفيها يجب دائما وفقط توجيه العلاقات الخطاطية إلى محتوى البنى.(langacker, 1982, p. 25) وتصنيف الوحدات اللسانية المتشابهة، وتجريدها وفق خطاطات لبناء الفضاء النحوي هو ما يقترب من تصور فوكونيي للفضاء الذهني.

2.2 المحتوى الإجرائي لنظرية الأفضية الذهنية:

حسب الدراسات المختلفة التي موضوعها نظرية الأفضية الذهنية، فإن مرجعيتها المعرفية تعود إلى التداولية؛ ذلك أن النظرية تهتم بالفضاء الذهني ومكوناته اللغوية في السياق الكلامي بين المتكلم والمخاطب الذي ينتج فيه الفضاء الذهني، وتربط اشتغال بعض الظواهر اللغوية ببعض الوظائف الذهنية، ومن بين الظواهر اللغوية ظاهرة الإحالة المستمدة من نظرية الوظيفة الإحالية التي أسسها (نونبرغNunberg) عام 1979، وكونها وظيفة تسمح لنا بإقامة روابط بين أشياء من طبيعة مختلفة، من علم النفس أم من الثقافة أم من التداولية، فهي تسمح بإقامة مرجعية لشيء ما بتسمية شيء آخر يرتبط به بوجه خاص (fauconnier, 1994, p. 3) وعليه تسمح الوظيفة الإحالية بربط الأفضية الذهنية التي يبنيها المتكلم والمخاطب.

ونجد إجراءات المرجعية المعرفية لنظرية فوكونيي تتراوح بين ما هو تداولي وما هو لساني عرفاني، ومما يمتّ إلى التداولية استعماله لمفهوم الوظيفة الإحالية بتغيير تسميتها إلى الوظيفة أو الدالة التداولية (Pragmatic function)التي تدرس مجالين ذوي صلة موضعيا وتصنيفيا يتوافقان مع نوعين من الموضوعات، يتم ربطهما ببعض بدالة تداولية مثلا: ربط المؤلفين بالكتب التي ألفوها، وربط مرضى المستشفى بالأمراض التي يتعالجون من أجلها، هذا النوع من الربط يؤدي دورا مهما في بناء قاعدة معارفنا وتوفير الأدوات لتحديد مجال ما عبر تحديد مقابلاته في المجال الآخر. وغالبا ما تكون ترابطات الدالة التداولية مثل ترابطات الإسقاط، ومسؤولة عن التغيّر الدلالي طوال الوقت. وتسمح ترابطات الدالة التداولية بتحديد كيان ما كنائيا ومجازيا بواسطة مقابله في الإسقاط أثناء الاستعمال اللغوي.(fauconnier, 1997, p. 11) وعمل الدالة التداولية هو السماح بالانتقال من مجال (فضاء) دلالي أول إلى آخر بناء على العلاقات والإسقاطات الموجودة بين المجالين (الفضائين)، وعلى هذا التصور وضع فوكونيي الإجراءات التي تقوم عليها نظرية الأفضية الذهنية، وتظهر فيما يأتي:

- **مبدأ التعيين Identification principle:**

يمكن أن نفهم مبدأ التعيين أنه إذا كان العنصران (في المعنى الأعم) a وb مترابطين من خلال دالة تداولية F (b= F(a)) فإن وصف d_a a, يمكن أن يفيد في تعيين موافقه b (أي موافق d_a). ويسمي فوكونيي العنصر «a» قادح الإحالة و«b» هدف الإحالة ويسمي «f» الرابط، ومثال هذا ما أورده في كتابه (1984):

الدالة (F_1 نسميها) تربط المؤلفين بالكتب التي تكوّن مجمل أعمالهم، مثلا:

أفلاطون = a

كتب أفلاطون = $b = F_1(a)$

يسمح مبدأ التعيين في هذه الحال باستعمال العبارة 1 في معنى العبارة 2:

(1) أفلاطون على الرف الأعلى.

حيث أحلنا على كتب أفلاطون باسم المؤلف مباشرة بينما نقصد كتب أفلاطون على الرف الأعلى أي نحن نعين كتب أفلاطون باسم مؤلفها، وهو ما تدل عليه العبارة (2)

(2) كتب أفلاطون على الرف الأعلى.

وتأويل العبارة (1) وفهمها يعتمد على الإحالة كدالة تداولية يدرك المخاطب منها الرابط بين القادح (Trigger) ما قاله المتكلم (أفلاطون)، وبين الهدف (Target) ما يقصده (كتب أفلاطون).(fauconnier, 1994, pp. 3- 4)

الشكل 1: مخطط لتوضيح ربط الدالة التداولية بين القادح والهدف

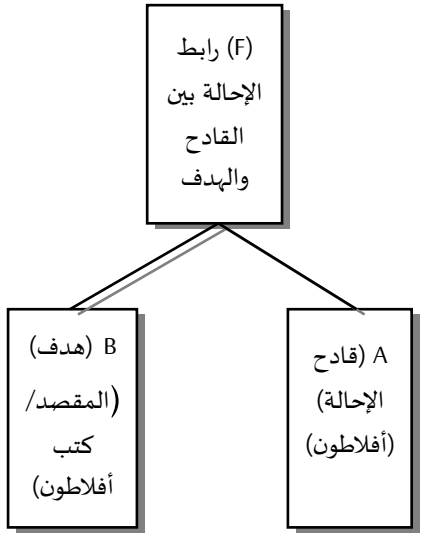

المصدر: إعداد الباحثة

- **العناصر البانية للفضاء الذهني-Space Builders:**

يُقصد بالعناصر البانية للفضاء الذهني الوحدات والمركبات اللسانية المعبرة عن الأفكار والاعتقادات، أو المعبرة عن التمثّلات والصور والمشابهات، وقد سبقت الإشارة إليها في تصور فوكونيي للفضاء الذهني من كونه مجموعة من العناصر اللسانية المترابطة والمتنامية مع تنامي واتساع الخطاب، فتصبح هذه العناصر والعلاقات الناشئة بينها مركبات لسانية مولدة وبانية للأفضية الذهنية لاسيما عند المتلقي.

مثلا: في تصور لين أنّ الفتاة ذات العينين الزرقاوين لها عينين خضراوين.

يبني المخاطب مجموعة من الأفضية الذهنية؛ حيث يتشكل لديه فضاء ابن من العنصر اللغوي (في تصور لين) الذي يمثل عنصرا بانيا يدل على تخيل مرتبط بفضاء أب (parent space) حسب سياق الخطاب السابق المتعلق بتصورات المتكلم، وقادح الإحالة The trigger هو الفتاة ذات العينين الزرقاوين، ويمثل التعبير عينين خضراوين الهدف The Target.(fauconnier, 1994, pp. 20- 21)

- **الأدوار والقيم في نظرية الأفضية الذهنية**:

يقصد بالدور في نظرية الأفضية الذهنية تلك الوظيفة التي تنطبق على مجالات أخرى مشابهة لوظيفة المجال الأول، ويمكننا أن نفترض أن الدور هو الفضاء الذهني الأقرب إلى فهم المخاطب، أما القيمة فهي حالة عارضة للفضاء الدور في تركيب لغوي ما وتختلف قيمة الدور باختلاف السياق الذي يرد فيه، وعليه فرض فوكونيي احتمالين لورود الدور والقيمة في التأويل كالتالي: خ(د) خاصية دور خ(د(ق)) خاصية قيمة دور، مثلاً:

(1) إميل زولا على الرّف الأيسر، ونقصد أحد مؤلفاته.

(2) إميل زولا على الرف الأيسر، وسترى أنه يكتب بصفة عميقة.

في المثال (1): إميل زولا قادح الإحالة " أ" والكتاب هدف الإحالة " ب"؛ ولأن إميل زولا ورد للدلالة على الكتاب فهو يمثل قيمة الدور؛ أي ما نقصده هنا.

في المثال (2): إميل زولا قادح الإحالة "أ"، والضمير " هو" هدف الإحالة؛ ولأن إميل زولا جاء ليدل على نفسه فهو يمثل الدور نفسه؛ حيث نتحدث عن إميل زولا ونقصد في الوقت نفسه إميل زولا لا شيئا آخر متعلق به.

تمثل هذه المبادئ أهم ما عرضه (جيل فوكونيي) عن نظريته الأفضية الذهنية من جانبها المفهومي والإجرائي في دراستها للغة وتأويل تراكيبها ومعانيها المتداولة بين المتكلم والمخاطب بشكل يومي، لكن ما يرنو إليه البحث هو النظر في محتويات نظرية الأفضية الذهنية من وجهة لسانية عربية وهو ما سيأتي.

3. التصور اللساني العربي لنظرية الأفضية الذهنية:

أشرنا سابقا أن نظرية الأفضية الذهنية هي إحدى نظريات اللسانيات العرفانية، وكما هو معلوم أن اللسانيات العرفانية بصورة عامة أُخِذت ترجمة من منبتها الأول وتمت معالجة نظرياتها عربيا بشكل مجمل، وعليه سنحدد بعض المؤلفات العربية التي عنيت بنظرية الأفضية الذهنية تنظيرا وتطبيقا.

1.3 اجتهادات اللسانيين العرب في نظرية الأفضية الذهنية من خلال الكتب:

– الأزهر الزناد:

عالج الأزهر الزناد أغلب نظريات اللسانيات العرفانية ومن ضمنها نظرية جيل فوكونيي الأفضية الذهنية في كتابيه (نظريات لسانية عرفنية، النص والخطاب مباحث لسانية عرفنية)؛ حيث درس النظرية في كتابه نظريات لسانية عرفنية في الفصل الخامس وعنوانه الأفضية الذهنية تناول فيه الجوانب المفهومية النظرية التي جاء بها فوكونيي في نظريته بدءًا بأسس نظرية الأفضية الذهنية المرجعة إلى اكتشاف الترابطات العرفنيّة التي وجّهت الأبحاث الدلالية إلى البحث في طبيعة الدلالة وعلاقتها بانتظام الفكر، التي تندرج ضمنها نظرية الأفضية الذهنية، ثمّ نظر في التساؤلات التي اعتمد عليها فوكونيي في وضع نظريته منطلقا من ظاهرة الإحالة، كما تحدث عن الروابط العرفنية بين القادح (Trigger) والهدف (Target) مشيرا إلى تشكل الرابط العرفني بين ما تكوّنه الذات والواقع، وبين الروابط التي تنشأ بين الوحدات المنتمية إلى إطار واحد، وذلك في حالة الروابط العرفنية في المجاز المرسل. كما بيّن تنوع الأفضية التي تنشأ عن هذه الروابط مستعينا بفكرة فوكونيي، كل مفهوم يقتضي في تمثيله فضاءين ذهنيين، يكون الواحد منهما أوّليّا والآخر تابعا له. (الزناد، 2010، صفحة 197، 201) وبتعبير آخر كل مفهوم يتطلب فضاء مركزيا وفضاء قرينا.

ودرس الأزهر الزناد في كتابه أيضا مقولة الدور والقيمة، ورأى أن الدّور مهما كان نوعه إنّما يوجد في ضوء تصورنا لبنية الإطار الذي تكون فيه الوحدة مشاركة، أمّا القيمة فهي حسب رأيه القائم بالدور في حد ذاته. إضافة إلى ذلك أشار إلى التعيين مستعملاً له تسمية مبدأ الاهتداء معتمدا في تعريفه على أفكار فوكونيي منوّها إلى أن الشرط في قيام عملية الاهتداء أن يكون المجال الثاني مما يمكن الاهتداء إليه عرفنيا من المجال الأول، وأن يكون الترابط بين

القادح والهدف. ويتحقق الترابط في أداة أو قرينة ظاهرة، وكل ذلك يتم داخل فضاء ذهني ما، ويبنى الفضاء الذهني من العبارات المتحققة في الخطاب (مركبات أو وحدات نحويّة) تؤسس فضاء ابنا لفضاء أساس يترابطان بوجه ما. ولا تحمل بناة الأفضية في ذاتها معلومات عن الفضاء الجديد، وتتكون من الأسماء والصفات وكل ما يعبر عن الزمان والمكان وغيرهما من الأطر الافتراضية. ويتفق الأزهر الزناد مع فوكونيي في العناصر البانية للفضاء في أنها مجموعة التراكيب اللغوية الحاملة لدلالات تقتضيها ملابسات الخطاب.(الزناد، 2010، صفحة 204، 209)

وللأزهر الزنّاد نظرة موسّعة في الروابط بين الأفضية من خلال تحديد وظيفتها التي تظهر كلما استرسلنا في الكلام واتسعت شبكة الأفضية الذهنية، فتعمل الروابط على حفظ علاقة الأفضية ببعضها من خلال ما يوفره النحو من مقولات مثل: الزمان وبناة الأفضية ...إلخ، وما توفره العمليات المنطقية من نجاح الروابط في ربط الأفضية، كلما استمر هذا التكاثر والترابط بين الأفضية مع أثناء عملية التخاطب.

تمثل الآراء المطروحة أهم ما جاء في كتاب (نظريات لسانية عرفنية) عن نظرية الأفضية الذهنية، كما أنه قد ضمنها كتابه (النص والخطاب مباحث لسانية عرفنية) بإسهاب أكثر؛ حيث تناول علاقات الترابط بالتفصيل مثل علاقة النشر والإسقاط، لكن ما ميز دراسته للنظرية في كتابه النص والخطاب أنه ربط دراستها بالخطاب. وتمثل هذه المعطيات أهم اجتهادات الأزهر الزناد في نظرية الأفضية الذهنية من ناحية التنظير حيث نجد أنه نظّر لأغلب جوانب نظرية فوكونيي في كتابيه.

محمد عبد الودود أبغش:

كتاب عبد الودود أبغش هو (نظرية الأفضية الذهنية مبادئها وتطبيقاتها) حاول فيه تقديم النظرية بدقة وبساطة حتى تتاح للمختص ولغير المختص، وبثها في أربعة فصول:

الفصل الأول: خصه لضبط مصطلح العرفنة، ومفهوم العلم العرفني، وعلاقة اللسانيات بالعرفنة مبرزا نشأة العلاقة الأولى والدافع لذلك.

الفصل الثاني: وفيه بدأ حديثه عن نظرية الأفضية الذهنية بتحديد الإطار المعرفي الذي نشأت ضمنه والمؤلفات التي تبلورت من خلالها قضايا نظرية الأفضية الذهنية ممثلة في معيارين:

أ. معيار مضيّق: ينحصر فيما كتبه فوكونياي أو شارك في كتابته (لاسيما كتبه الثلاثة الأفضية الذهنية 1984، ترابطات في الفكر واللغة1997، والطريقة التي نفكر بها 2002).

ب. معيار موسّع: ما كتبه فوكونياي وغيره من المشتغلين في إطاري عمل الأفضية الذهنية، والمزج التصوري.

مفصلا بعدها في قضايا ومبادئ نظرية الأفضية الذهنية خاصة الأدوات النحوية البانية للأفضية والمتمثلة في:

بواني الأفضية: ويرى عبد الودود أنها الوحدات اللغوية، فباني الفضاء عبارة نحوية تنشئ فضاء جديدا أو تنقل البؤرة إلى فضاء حاصل، وتتخذ البواني صورا شتى مثل: المركبات الحرفية، والظروف...إلخ.

العناصر: يقصد بها الأسماء، والأعلام، والصفات، والضمائر، وهي إما أن تكون كيانات جديدة تبنى آن القول، أو كيانات قديمة الوجود في النظام التصوري.

الخصائص والعلاقات: التي تبحث في الكيفية التي تترابط بها العناصر.

شبكات الأفضية الذهنية: يقصد بها ارتباط الأفضية الذهنية ببعضها أثناء الخطاب.

النظائر والروابط: تحدد النظائر بالدالة التداولية، وبيان ذلك أنه حين تكون لعنصرين (أو أكثر) في أفضية ذهنية متعددة دالة تداولية تربطهما فهما نظيران، مثل بقي، مازال، صار.

مبدأ الاهتداء: (أو مبدأ التعيين) يقول إن العبارة التي تسمّي عنصرا في فضاء ذهني (أو تصفه) يمكن أن تستعمل للاهتداء إلى نظير ذلك العنصر في فضاء ذهني آخر.

الأدوار والقيم: يختص هذا المبدأ بالعناصر (المركبات الاسمية) التي تختلف قراءتها حسب الخطاب، فغالبا ما يدل الدور على (مَا) يقوم به العنصر، أما القيمة فتدل على (مَنْ) يقوم بذلك الدور.(أبغش، 2018، صفحة 36، 43، 56)

الفصل الثالث: في ترابطات الأفضية الذهنية اهتم بالترابطات (mapping) التي تقوم بين الأفضية مبينا أنها تتكون من:

ترابطات الإسقاط: التي تنشأ حينما نتحدث أو نفكر في بعض المجالات ونستعمل بنية مجالات أخرى والألفاظ التي تناسبها، كقولنا: الأسابيع تمضي.

ترابطات الدالة التداولية: يوجد هذا النوع من الترابطات عند تحديد كيان من الكيانات على أساس نظيره في الترابط. مثلا يقول الممرض: القرحة المعدية التي توجد في الغرفة (12) تودّ بعض القهوة. فهو يستعمل المرض (القرحة المعدية) لتحديد المريض المصاب بها.

ترابطات الخطاطة: وتكون حين تستعمل خطاطة عامة أو إطارا أو منوالا لبنينة مقام في سياق.(أبغش، 2018، صفحة 61، 63)

علاوة على تحديد مبادئ نظرية الأفضية فقد أنهى عبد الودود هذا الفصل بجملة من الأمثلة المعدودة لتوضيح هذه المبادئ على المستوى التطبيقي.

الفصل الرابع في نظرية المزج التصوري: درس فيه نشأة نظرية المزج التصوري وعلاقتها بنظرية الأفضية الذهنية؛ حيث يستعمل المزج التصوري عدة أفضية ذهنية و ترابطات بينها: فضاء جامع، و أفضية مزيج، مع ترابطات بين الأفضية المدخلات والفضاء المزيج؛ وكون نظرية المزج التصوري تعتمد على الأفضية فهي تعد امتدادا لنظرية الأفضية الذهنية؛ إذ تبين بعض الظواهر التي لم تتمكن نظرية الأفضية الذهنية من إيجاد حل لها.(أبغش، 2018، صفحة 78)

ما يميز كتاب نظرية الأفضية الذهنية أنه جاء معرفا بها حسب المراحل التي مرت بها، فقد انطلق عبد الودود من كتاب الأفضية الذهنية لفوكونيي معرفا بالنظرية، ثم حدد مبادئها وقضاياها كما وردت في كتاب ترابطات في الفكر واللغة، وختم الحديث عن نظرية الأفضية الذهنية بنظرية المزج التصوري التي وردت في كتاب الطريقة التي نفكر بها، وضم آخر تطورات نظرية الأفضية الذهنية، على هذا نجد أن الكتاب محيط بكافة جوانب نظرية الأفضية الذهنية رغم أن فيه تقتيرا في الشرح والتمثيل لما ورد فيه من قضايا.

- **عبد المجيد جحفة:**

يبدو اهتمامه بنظرية الأفضية الذهنية في كتابه مدخل إلى الدلالة الحديثة؛ إذ درس فيه الفضاء الذهني من جوانب متعددة كونه أحد مكوناتها، وقد انطلق من تحديد مفهوم الفضاء وآلية إدراكه وكيفية تقطيعه وتصنيفه وطريقة تمثيله الذهني، ويرى عبد المجيد أن الفضاء يمثل الحالة الذهنية التي يمتلكها البشر بصدد هذا الموضوع أي موضوع السياق الذي يجري فيه التخاطب، وهو نوعان: فضاء ذهني يُبنين حقولا مادية وفضاء يبنين حقولا غير مادية؛ ولأن الفضاء لا يتشكل إلاّ بوساطة العناصر البانية له فقد أكد عبد المجيد في كتابه عليها تحت مسمى عوامل بناء الفضاء، وتعد الأساسية منها في تصور الفضاء علاقة المتكلم وشكله الهندسي بالفضاء وإمكانات تحركه فيه، إضافة إلى إمكاناته التعبيرية. فيكون المتكلم مركز عملية الإحالة الفضائية ويعتمد في عملية الموقعة، حيث الإحالة الفضائية تستند على ثلاثة محاور: محور عمودي، محور أمامي، ومحور جانبي، يعبر عنها لغويا بالاتجاهات (تحت/ فوق، وراء/ أمام، يمين/ شمال)، (جحفة، 2009، صفحة 115،116) ويلاحظ أن الأفضية التي عني بها عبد المجيد هي الأفضية الدالة على الأمكنة والأزمنة التي تظهر من خلال تركيز حديثه على العناصر البانية للأفضية المكانية والزمانية.

ومن ضمن ما تناوله أيضا عبد المجيد في كتابه العناصر البانية للفضاء في اللغة العربية، وهي ظروف المكان، حروف الجر، بعض الأسماء الدالة على الأمكنة، وحقل الأفعال الفضائية، وقد خصّ بالحديث حروف الجر ومكوناتها التحتية أو قبل–المعجمية التي تفسر الاختلاف السطحي الظاهر فيما تفيده هذه الحروف. ولهذه البنيات ثوابت معينة تسمح للحروف بأن تستعمل لوصف العلاقات الفضائية عموما، حيث تفيد بعض هذه الحروف الحلول (علاقة المكان)، والابتعاد عن الحلول (انتهاء الغاية)، ومنها ما يفيد الاقتراب من الحلول (ابتداء الغاية)، وتعد العلاقات التي تبنها ذات سمة فضائية حيث تستند إلى الاتجاهات فتعبر عن علاقة الاقتراب بـ:

الاقتراب (= اتجاه + هدف): مسار + في.

الابتعاد (= اتجاه – هدف): مسار + لا في.

مثلا في قولنا: 1/ ذهب زيد من المدرسة.

2/ ذهب زيد إلى المدرسة.

نلاحظ في المثال (1) وجود(علاقة الابتعاد) لما تعكسه دلالة حرف الجر"من" من معنى ابتعاد زيد عن المدرسة ومن ثمة (نفي الحلول)، عكس ما يبدو في المثال (2) (علاقة الاقتراب) التي يدل عليها حرف الجر (إلى) وتحيلنا دلالته على (الحلول).(جحفة، 2009، صفحة 116،120)

إلى جانب دراسته لحروف الجر ومعانيها الأساسية التي تبني الفضاء انتقل إلى المعاني الثانوية التي تؤديها تحت مسمى العلاقات شبه-الفضائية؛لأن حروف الجر يكون الحلول فيها في شخص ولا يكون في مكان، وهو ما فسره عبد المجيد في حال عبر حرف الجر عن الملكية التي تمثل إحدى حقول العلاقات شبه-الفضائية إلى جانب حقلي الزمن والتعيين والأمثلة الآتية توضح عمل هذه الحقول: (جحفة، 2009، صفحة 121، 129)

- **حقل الملكية:**

1/ باع زيد الكتاب لعمرو. 2/ اشترى عمرو الكتاب من زيد.

يستلزم المثال الأول انتقال الملكية من زيد (مالك قديم) إلى عمرو (مالك جديد) ليكون مفعولا لحرف الجر اللام، ويكون نوع الانتقال "انتقال إلى"، في حين يستلزم المثال الثاني انتقال الملكية من فاعل الجملة إلى مفعول الحرف (زيد)، ويكون في هذه الحال نوع الانتقال "انتقال من".

- **حقل الزمن:**

يوضح عبد المجيد في كتابه أن الحروف التي تدل على الفضاء والحروف الدالة على الزمن متماثلة تمامًا مثلا في قولنا: في الساعة العاشرة. وقولنا: في الغرفة، فإننا نستعمل نفس حرف الجر، لكن دلالته على الفضاء متغيرة ففي الحالة الأولى الفضاء زمني، وفي الجملة الثانية الفضاء مكاني.

- **حقل التعيين:**

يرى عبد المجيد أننا نكون بصدد حقل للتعيين حين يسبغ وصف ما (أو خاصية) على موضوع داخل الجملة، وأهم ما يمكن أن نسجله في هذا الحقل أن التحلي بخاصية ما يقوم بدور الفضاء في الحقل الفضائي، والتحلي بصفة معينة إما يكون ثابتا على الموضوع، وإما يكون متغيرا.

مثلا: محمد رسام. هنا (رسام) صفة تحلّى بها (محمد)، ويعبر عنها فضائيا « الصفة« رسام» توجد في الموضوع «محمد» ».

أما في حال كانت الجملة للتعبير عن حالة نفسية نجد الموضوع في صفته؛ أي المتصف في داخل الصفة مثلا: محمد في حيص بيص؛ أي محمد في حيرة، فهو في الصفة التي تعين حالته، ويكون التعيين هنا تعيينا حلوليا لأن الموضوع في الصفة وليس ضروريا ورود حرف الجر (في).

تأسيسا على ما سبق، يتبيّن أن جهود عبد المجيد جحفة في نظرية الأفضية الذهنية هي دراسة الفضاء ضمن مجال أوسع هو الدلالة، مما جعل معالجته لنظرية الأفضية الذهنية معالجة تجزيئية بحث من خلالها عن دلالات الفضاء الذي يمثل بدوره جزء من نظرية فوكوني.

2.3 الاجتهادات اللسانية العربية في نظرية الأفضية الذهنية من خلال المقالات:

دُرست نظرية الأفضية الذهنية بشكل مستمر منذ ظهورها في المقالات، خاصة الأكاديمية منها، التي تناولت منوال الأفضية الذهنية نظريا وتطبيقيا وأهمها ما يأتي:

بحث وهيبة بوشليق بعنوان "نظرية الأفضية الذهنية المفهوم والإجراءات"، وعالجت فيه نظرية فوكوني انطلاقا من مرجعياتها الأولى وانتمائها إلى علم النفس المعرفي، إضافة إلى تحديد التعريف اللغوي للمفردات المكونة لمصطلح الأفضية الذهنية وتحديد مفهومها الاصطلاحي، ثم إيضاح المبادئ التي تقوم عليها نظرية الأفضية الذهنية وأنها تبحث في العملية النفسية لبناء المعنى عند الناس، فكان منطلقها الأول هو ظاهرة وظيفة الإحالة التي استبدلها فوكوني بمصطلح الوظيفة التداولية، هذا وقد أشارت كذلك وهيبة بوشليق في مقالها إلى مختلف مقولات نظرية الأفضية الذهنية (التعيين، الروابط، العناصر البانية للفضاء، الأدوار والقيم) كما قدّمت بعض المآخذ على النظرية لأنها لم تحل كل المشاكل المرتبطة بالمعنى وتأويله، حيث إن المعنى ذو طبيعة

نفسية ذهنية صورية.(بوشليق، 2019، صفحة 38، 42)

إضافة إلى مقال للربيع بوجلال الموسوم باللسانيات العرفانية؛ حيث تطرق فيه لنظرياتها التي من ضمنها نظرية الأفضية الذهنية، متصديا لها بالتعريف، والتنبيه إلى كونها امتدادا لنظرية العوالم الممكنة، وأكثر ما تحدث عنه مفهوم الفضاء الذهني وآلية بنائه أثناء التواصل والاستعمال الآني للغة.(بوجلال، د.ت، صفحة 239)

تعد هذه المقولات المدرجة ضمن نظرية الأفضية الذهنية أهم ما تعالجه المقالات اللسانية العربية حيث تتراوح بين التناول المفهومي والمرجعيات المعرفية للنظرية، ثم الخوض في أكثر المقولات أهمية التي بنى عليها فوكونيي نظريته وهي -كما تبدو- لا تتجاوز التعريف بها والتمثيل لها نظريا.

4. التطبيق اللساني العربي لنظرية الأفضية الذهنية:

مما تقدم يمكن ملاحظة أن نظرية الأفضية الذهنية لم تنعم بكثير من الدراسة النظرية، فهل لقيت حظها من الدراسة التطبيقية هذا ما سيأتي بيانه من خلال بعض الأعمال اللسانية.

1.4 تطبيق نظرية الأفضية الذهنية في الكتب:

– كتاب الإشهار القرآني والمعنى العرفاني في ضوء النظرية العرفانية والمزج المفهومي والتداولية[سورة يوسف أنموذجا]:

غاية الكتاب دراسة الإشهار القرآني على وجه الخصوص؛ لأنه أصبح كثير الانتشار في الحياة اليومية، وبطال حتى محاوراتنا المستعملة يوميا، وهو عالم متجدد باستمرار وهذا دافع لدراسته باعتماد مجموعة من النظريات اللسانية الحديثة مثل النظرية العرفانية والمزج المفهومي والتداولية، وهي نظريات تسهم في التحليل الدقيق للإشهار.

وقد درس عطية الفضاء الذهني كأحد مبادىء نظرية الأفضية الذهنية باعتباره جملة من المعلومات المنظمة المتعلقة بالمعتقدات والأشياء، فكل ما في أذهاننا من معلومات عمّا نعتقده أو عن الأشياء التي حولنا بنيناها عن طريق التجربة والمعرفة، وتنشأ الأفضية الذهنية بصورة فورية في أثناء الكلام وتتكاثر بشكل (فوري– آني) باسترسالنا في الكلام الآني.

ويبرر عطية علاقة الفضاء الذهني بالإشهار بكون الفضاء يشتغل ضمن آليات صياغة الصورة الإشهارية بعده عمقا استراتيجيا في التوليد والتلقي والتأويل، وأساس كل تصور وإدراك، بهذا المفهوم يكون الفضاء الذهني شبكة من المعلومات تسمح للذهن بتمثل الإشهار وفهم ما يحتويه من إيحاءات واستدعاء للأفكار لتحليل الإشهار وتعيين الفضاء الذي ينتمي إليه، والتمييز بين الإشهار الإيجابي والسلبي، وهذه العمليات تعد جزءا من عمليات الذهن أو الفضاء الذهني الذي يعدّ مصنع الصورة والتخيّل، وعمله يتم بصورة آنية فورية أثناء الكلام، (عطية، 2014، صفحة 90، 92) لتكون بهذا علاقة الإشهار بالفضاء الذهني علاقة احتواء.

أما في تطبيق المؤلف لنظرية الأفضية الذهنية فنجده قد اقتصر على الجمل القرآنية التي تنطوي على الإشهار، مثل قوله تعالى: ﴿ يَا صَاحِبَيْ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللهُ الوَاحِدُ القَهَّارُ﴾ [سورة يوسف، الآية 39] يتمثل الإشهار في الآية في صفتي (الواحد القهار) دون سائر الصفات لبناء فضاء ذهني جديد لدى السجناء راعى فيه الفضاء الذهني الأصلي لهما

الذي ينحصر في صورة الرب القاهر الظالم، والضعف والاستعباد الذي يعيشان فيه، فاختار النبي يوسف توجيه السجينين إلى فضاء ذهني جديد بصورة جديدة هي صورة الرب الناصر القاهر لأعدائهم، فكان لابد له من صفة الوحدانية والقهر لشحنهما بدلالات جديدة تعكس المتخيل المعتاد من سطوة الآلهة إلى بناء فضاء جديد عن الله تعالى يظهر أن القهر عنده هو القوة والحماية التي ستنجيهما من أعدائهما، وذلك بتوسيع الفضاء الذهني الذي يبني تصورا جديدا لمعنى الرب في الفضاء الذهني لهما، ويتم ذلك كالآتي:

الفضاء الأول: أرباب متصارعون + سجناء ضعفاء + حياة ظلم وقهر = فضاء قهر وحزن.

الفضاء الثاني: رب + واحد + قهار = فضاء يشملهما بالأمن والحماية والقوة.(عطية، 2014، صفحة 243).

الملاحظ في هذه الأفضية أن صورة القهر المنسوبة للرب تغيرت من الفضاء الأول إلى الفضاء الثاني بفضل الإشهار الذي عمل على إقناع السجينين بالصورة الجديدة لله تعالى وبإنصافه للمظلومين.

وعلى هذا المنوال يحلل المؤلف مختلف الآيات الإشهارية بواسطة نظرية الأفضية الذهنية تطبيقيا، كما يلاحظ من هذا الكتاب أن تطبيق الأفضية الذهنية لم يكن الغاية الوحيدة له، بل كان تطبيقها أحد الجوانب التي تسمح لنا بفهم الدلالات الخبيئة للإشهار بصورة عامة وإحدى النظريات التي تفسر وتقرب فهم غاية الإشهار.

2.4 تطبيق نظرية الأفضية الذهنية من خلال المقالات:

من العينات التطبيقية ندرج بحث لعمارة الجدّاري "الأفضية الذهنية في الخطاب القرآني من خلال نماذج"، وهو مقال أحسبه عالج كل نواحي نظرية الأفضية الذهنية إلى جانب تطبيقها على النص القرآني فقد درس مفهوم نظرية الأفضية الذهنية ومبادئها، ثم تتبع من الخطاب القرآني ما ضم مبادئ النظرية وكل ذلك تحت عنوان نظرية الفضاءات الذهنية في الخطاب القرآني الذي كان القصد من ورائه البحث في آليات تشكل الروابط العرفانية في النماذج القرآنية، وما ورد من أمثلة في بحثه كالآتي: (الجداري، 2021، صفحة 85، 89)

- **الدالة التداولية:**

تنص أن المفهوم يتطلب تمثيله فضاءين ذهنيين، يكون الواحد منهما فضاء رئيسا والآخر فضاء قرينا أو فضاء قادحا وفضاء هدفا كما سبقت الإشارة، ونجدها مثلا في قوله تعالى: ﴿هُوَ الذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ﴾ [سورة الأنعام، الآية 60] حيث:

يتوفاكم (فضاء قادح) يحيل على النوم (الفضاء الهدف) والنوم يكون زمن الليل وهو (الرابط العرفاني).

جرحتم (فضاء قادح) يحيل على الأعمال (الفضاء الهدف) والعمل يكون زمن النهار وهو (الرابط العرفاني).

- **العلاقات الرابطة بين العالم المتصور ونظيره في الواقع:**

يقوم هذا الرابط على أن القدرات العرفانية تسمح للإنسان بتمثيل رؤية ذهنية للكون ورؤية الآخرين له من نفس الزاوية أو من زوايا أخرى، مثلا في قوله تعالى: ﴿ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴾ [سورة الكهف، الآية 42] في الآية

فضاءان الأول يبني زمن القول والأوضاع مثلما هي في الواقع؛ أي أن صاحب الجنتين أشرك بربه، والثاني الفضاء القرين يمثل ما جاء الفضاء الأول به من أوضاع لم تتغير ولكن مع تمني المشرك أنه لم يشرك، وقد ربط الفضاءين الأداة اللغوية ليت أو ليتني كما وردت في الآية.

- **علاقات المجاز المرسل:**

يقوم المجاز المرسل على مجموعة من العلاقات المعلومة كالسببية والمسببية...الخ التي يبنى فهمها تلقائيا بوساطة فضاء أساس (قادح) هو ما يظهر في بناء الكلام وفضاء قرين (هدف) هو ما يفهم من البناء الظاهري للكلام، مثاله قوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَة غُلَّتْ أَيْدِيهِم وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا ﴾ [سورة المائدة، الآية 64]، فضاؤها القادح (يد الله) وفضاؤها الهدف (خير الله ممسك وعطاؤه محبوس عن الاتساع عليهم).

- **الأدوار والقائمون بها:**

منها في القرآن الكريم الآية: ﴿ وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا﴾ [سورة الفرقان، الآية 7]، فالدور (الرسول) والقيمة (يأكل الطعام) و (يمشي في الأسواق).

- **مبدأ الاهتداء:**

يعبر هذا المبدأ عن إحالة عنصر لغوي في فضاء ما على معنى في فضاء آخر مثلا قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا ﴾ [سورة الإسراء، الآية 29] تمثل اليد أداة العطاء والمنح، وبالتالي هي رابط الاهتداء حيث تكون: اليد المغلولة قادحا والهدف البخل، وتكون: اليد المبسوطة قادحا والهدف الإسراف.

- **الفضاء الذهني:**

يحدده عمارة الجداري بأنه بنية عرفانية تبنى فيها المجالات وتنتظم وتترابط بأنواع من الترابطات بين المجالات، ومثله من النص القرآني قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [سورة يونس، الآية 24]، الفضاء الذهني الذي يبنيه المتلقي عند سماعه الآية هو التشابه بين الحياة والخيرات التي تنتجها الأرض في تغيرها السريع بقدرة الله تعالى وقوته، فنعيم الحياة الدنيا لا يدوم لأحد من الناس إذا قضى الله تعالى زواله عنه.

- **بناة الأفضية:**

تبنى الأفضية كما أسلفنا من الأسماء والصفات، وما يعبر عن الزمان والمكان وتتضح أثر هذه العناصر اللغوية في بناء الفضاء الذهني، ومنها في النص القرآني من قوله تعالى: ﴿ كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ﴾ [سورة يونس، الآية 24] ففي الآية إحالة على اختلاف بين فضاءين الفضاء الأول الفقر الآن والفضاء الثاني الغنى بالأمس.

وهذه المبادئ أهم ما ورد في المقال الذي يتضح أنه جاء تطبيقا شاملا لكل ما حوته نظرية الأفضية الذهنية من إجراءات على النص القرآني، فلا يكاد يخلو مبدأ من التطبيق له من القرآن الكريم مستغنيا عن الأمثلة التي عرض بها فوكوني نظريته.

تعد هذه النماذج المدرجة في البحث أهم النماذج التنظيرية والتطبيقية العربية في نظرية الأفضية الذهنية؛ حيث كانت الدراسة

العربية التنظيرية عاكفة على التعريف بها وبمبادئها ضمن مؤلفات ذات مجال أوسع. بينما كانت دراستها التطبيقية حول مبادىء بعينها وهو ما نجده في كتاب أحمد عطية الذي درس جزء تطبيقيا من النظرية هو الفضاء الذهني وأغفل بقية مبادئها، خلافا لمقال عمارة الجداري الذي كان دراسة تطبيقية شاملة لنظرية الأفضية الذهنية ومبادئها؛ لذا يمكن أن نعد البحث اللساني العربي في نظرية الأفضية الذهنية بحثا تجزيئيا لنظرية الأفضية الذهنية سواء على المستوى النظري أو على المستوى التطبيقي.

5. رأي في الدراسة اللسانية العربية لنظرية الأفضية الذهنية:

يبدو من النماذج اللسانية العربية التي عُرِضَت وطُرح اهتمامها الموضوعي بنظرية الأفضية الذهنية أنها ممارسات تنظيرية وتطبيقية تتراوح بين الشمول والتجزيء سواء في الكتب أو في المقالات، فما كان البحث اللساني العربي فيها إلاّ تعريفا بنظرية الأفضية الذهنية وتحديدا نظريا لمبادئها الإجرائية مصحوبا بجمل مستقلة عن أي خطاب عام كأمثلة لهذه الإجراءات، وكثير منها مترجم عمّا جاء في مؤلفات جيل فوكوني، وهو ما نلاحظه في كتابي الأزهر الزناد والمقالات النظرية المذكورة سلفًا.

وبالنسبة للجهود التطبيقية حول نظرية الأفضية الذهنية، فهي رغم قلتها بحوث تطبيقية مقتصرة على جانب دون آخر ممّا جاءت به النظرية في دراسة المعنى، وهو ما توضح من خلال كتاب الإشهار القرآني والمعنى العرفاني، فقد كان تطبيقه جزئيا مقتصرا على الفضاء الذهني وحده من النظرية؛ لتوسيعه لدلالات العبارات الإشهارية وبالتالي فاعتماد بقية عناصر نظرية الأفضية الذهنية كان غير ضروري حسب رأيه. على عكس مقال عمارة الجداري الذي شمل جميع الإجراءات التطبيقية التي حددها جيل فوكوني مستعينا بأمثلة من القرآن الكريم، فكان بحثا تطبيقيا شاملا معتمدا على خصائص اللغة العربية، ومن جملة البحوث العلمية التطبيقية لا نكاد نصل إلى بحث أشمل منه في دراسة إجراءات نظرية الأفضية الذهنية.

وعليه تلزمنا رؤية نقدية في الأعمال العلمية المهتمة بهذه النظرية من حيث طرائق دراستها وتعريبها وإدخالها حيز البحث اللساني العرفاني العربي، ومن حيث المعيقات التي تقف في وجه ذلك، وخلال تقصينا لبعض الرؤى النقدية اتضح أنّ أغلبها يشير إلى قلة البحوث الجادة المنجزة في تكوين حركة علمية لسانية عرفانية عربية رغم مرور أربعة عقود أو تزيد على ظهور الحقل العام الذي تندرج فيه نظرية الأفضية الذهنية (اللسانيات العرفانية) فقد بقيت محتشمة في البلاد العربية ماعدا بعض الدراسات في قطرين من المغرب العربي (المغرب، تونس). (الزناد، 2010، صفحة 11) وهذا تصريح من أحد رواد اللسانيات العرفانية العرب على أنها تعاني من نقص البحث فيها سواء من ناحية التأليف أو من ناحية الترجمة إلاّ قلة من اللسانيين التونسيين مثل: محمد الصالح البوعمراني، وعبد الرزاق بنور، وثلة من اللسانيين المغربيين مثل: محمد غاليم، محمد الرحالي، الذين تنوع تأليفهم بين إنتاج وترجمة.

وترجع أسباب تخلفنا عن ركب اللسانيات العرفانية إلى جدة حقل العلوم العرفانية واللسانيات العرفانية خاصة بالنسبة

للبحث العربي، زيادة على التشابك الابستيمولوجي بين العلوم البانية للعلوم العرفانية من رياضيات وفلسفة وعلم النفس...إلخ التي تمثل القاعدة الأولى لفهم أساس اللسانيات العرفانية بقدر ما تمثل صعوبة أمام اللسانيين العرب فقلما نجد لسانيا متعدد الاختصاصات أو على الأقل ضليعا فيها؛ لأجل المضي في إنتاج بحوث لسانية عرفانية عربية تتسم بالدقة والصرامة العلمية.

وهناك مشكلة أخرى تتمثل في قَصْر البحث العربي على نظرية دون أخرى والمتتبع للمنجزات العلمية العربية يجد أغلبها يصب في الدلالة العرفانية مثلا : كتاب مدخل إلى الدلالة الحديثة لعبد المجيد جحفة، وكتاب النظرية اللسانية والدلالة العربية المقارنة لمحمد غاليم، إضافة إلى بعض المؤلفات المترجمة عن الدلالة العرفانية. في المقابل نجد ندرة في العناية بنظريات اللسانيات العرفانية الأخرى كنظرية النحو العرفاني (رونالد لانغاكير) فقد ظل الكتاب الوحيد العربي عنه مؤلف عبد الجبار بن غربية مدخل إلى النحو العرفاني، ونظرية الأفضية الذهنية (جيل فوكونيي) التي لا نقف على بحث خاص بها إلا ضمن بحوث أكثر اتساعا منها مثلما جاءت في مؤلفات الأزهر الزناد في اللسانيات العرفانية؛ حيث رأى أن الدراسات اللسانية العرفانية العربية تجزيئية ووصفها بأنها "دراسات مخصوصة بالدلالة عامة و بالاستعارة في الأغلب لا تشتغل بسائر المظاهر اللسانية العرفانية ".(الزناد، 2010، صفحة 11) ولعل ما يبرر انشغال اللسانيين العرب بالاستعارة التصورية أكثر من غيرها من النظريات أنها موضوع جديد مغاير للاستعارة المبثوثة في التراث اللغوي العربي ونظرية لسانية عرفانية تطال الدراسات الأدبية من جهة أخرى؛ لذلك انصب البحث فيها بين التنظير والتأصيل لها والتطبيق عليها لإبراز حضورها في البحث اللساني و فاعليتها في الدراسات الأدبية كذلك.

وإذا كان هذا حال البحث العربي في اللسانيات العرفانية في عمومها فكيف لنا أن نطلب التعمق والتدقيق في النظريات الجزئية التي تتأسس عليها كنظرية الأفضية الذهنية التي ظهرت فقط عام 1984 فهي الأكثر جدة بالنسبة لبقية النظريات -الدلالية على الأقل- ولم تحظ بانتشار مقبول كنظرية الاستعارة التصورية، إضافة إلى تتعدد المشارب التي نشأت منها نظرية الأفضية الذهنية، فهي تمتد إلى التداولية وخاصة التداولية العرفانية بقدر ما تمتد إلى اللسانيات العرفانية وجانبها الدلالي بالتحديد، وهذا التعدد بدوره أحد أسباب عزوف اللسانيين العرب عن الخوض فيها رغم أنها إحدى النظريات المهتمة بالمعنى وتوليده ذهنيا، وقد تنبه إلى ذلك صابر الحباشة وأشار إلى أن الوقوف على مثل هذه التعددات المعرفية في نظرية واحدة في نظر الباحثين العرب في اللسانيات العرفانية قد يعد "وقوعا في التّلفيق المنهجي" (الحباشة، 2008، صفحة 6) بدلا من جعل هذا التعدد المعرفي قاعدة علمية للإحكام بكل ما جاءت به النظرية ولتوسيع نطاق تطبيقها على المنظومة اللغوية العربية لفهم حدوث المعنى وتوالد الدلالات وإدراكها.

من زاوية أخرى يظهر أن السبب الرئيس في تأخر البحث العربي عن الخوض في نظرية الأفضية

الذهنية هو ضعف الترجمة لما يصدر من مؤلفات حولها، على سبيل المثال كتب (جيل فوكونيي) التي أسست لنظريته الأفضية الذهنية

- Les espaces mentaux : Aspectes de la construction du sens dans les langues naturelle (1984).
- Mapping in thought and language (1997).
- The way we think (2002).

وهي مؤلفات رغم مرور زمن طويل على ظهورها إلا أنها لم تترجم لحد الآن إلى اللغة العربية، لا كتاب الأفضية الذهنية الذي ظهرت معه النظرية، ولا المؤلّفون التالون الذين تطورت عبرهما النظرية وأنتجت آليات أخرى متقدمة في دراسة دلالة اللغات الطبيعية وتجاوز أدوات المنطق الصوري في دراسة الدلالة.

6. **خاتمة:**

مما سبق تقديمه يمكننا الخلوص إلى ما يأتي:

- إن نظرية الأفضية الذهنية إحدى نظريات اللسانيات العرفانية التي سعت لإعطاء نظرة جديدة للغة تنص على أنها مجموعة من الأفضية الذهنية، باستثمار علاقتها بالتداولية العرفانية، مما يجعل نظرية فوكونيي معنية بدراسة اللغة والمعنى وإنتاجه وتأويله ذهنيا.
- يبدو من الأعمال العلمية المدروسة سلفا أن نظرية الأفضية الذهنية لم تلق البحث المرجو في الوطن العربي فلا نحصي بحوثا عربية مستفيضة في التعريف بنظرية الأفضية الذهنية ولا بمبادئها وإعطائها بعدا لسانيا عربيا وتطبيقها على اللغة العربية.
- يقتصر البحث اللساني العربي غالبا على جانب واحد من نظرية الأفضية الذهنية، هذا ولم يكن التطبيق العربي لنظرية الأفضية الذهنية بأفضل من التنظير لها إلا فيما ندر.
- من معيقات البحث في العلوم العرفانية واللسانيات العرفانية في الوطن العربي تلك الجدة النسبية لهذه المواضيع، وضعف عملية الترجمة للمؤلفات التي تصب في مجال اللسانيات العرفانية ونظرياتها.

وعليه كان هناك بعض الاقتراحات التي يمكن أن تقلص من حجم الهوة التي وقع فيها البحث اللساني العرفاني العربي، وتشجع على البحث فيها وهي:

- إدخال اختصاص اللسانيات العرفانية كفرع مستقل إلى الجامعات العربية، وتهيئة مخابر البحث له، وتوفير الأساتذة المختصين في ذلك؛ لتكوين فئة من الباحثين العرب المختصين في ميدان اللسانيات العرفانية.
- توسيع عملية الترجمة العربية لمصادر اللسانيات العرفانية ونظرياتها، والعمل على تبسيط المعقد منها كي تكون في متناول المختص والمطلع على هذا الصنف الجديد من المعرفة.
- السعي إلى تفعيل التأليف والإنتاج اللساني العربي في نظريات اللسانيات العرفانية كلها دون التركيز على نظرية واحدة دون أخرى، ومحاولة تطبيق هذه النظريات على اللغة العربية للوصول إلى نتائج جديدة وإضافات مفيدة تثري البحث اللساني العربي.

- منح كل نظرية من نظريات اللسانيات العرفانية حقها من البحث والدرس سواء كانت نظرية دلالية أم تركيبية؛ وذلك انطلاقا من الأساس الابستيمولوجي الذي نشأت منه وصولا إلى آخر تطوراتها.

6. قائمة المراجع:

أبغش، محمد،(2018)، *نظرية الأفضية الذهنية مبادءها وتطبيقاتها*، تونس، داريافا للبحوث والنشر والتوزيع.

بوجلال، الربيع، (د.ت)، *اللسانيات العرفانية*، مجلة الآداب واللغات والعلوم الإنسانية، 2 (2)، ص ص 235 - 246.

بوشليق، وهيبة، (2019)، *نظرية الفضاءات الذهنية المفهوم والإجراءات*، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، 3(خاص)، ص ص 35 - 43.

تشومسكي، نعوم، (2005)، *آفاق جديدة في دراسة اللغة والذهن،القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة.*

جحفة، عبد المجيد، (2009)، *مدخل إلى الدلالة الحديثة*، المغرب، دار توبقال للنشر.

الجداري، عمارة، (2021) ، *الأفضية الذهنية في الخطاب القرآني من خلال نماذج*، مجلة الباحث، 13(1)، ص ص 79 - 94.

الحباشة، صابر، (2008)، *في المعنى مباحث دلالية معرفية*، المغرب، المركز الثقافي العربي.

الزناد، الأزهر، (2010)، *نظريات لسانية عرفنية*، الجزائر، منشورات الاختلاف.

سيرل،جون،(2006)،*العقل واللغة والمجتمع الفلسفة في العلم الواقعي*، المغرب،المجلس الأعلى للثقافة.

عطية، سليمان، (2014) ، الإشهار القرآني والمعنى العرفاني في ضوء النظرية العرفانية والمزج المفهومي والتداولية [سورة يوسف أنموذجا]، القاهرة، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي.

Evans, Vyvyan, (2007), *A glossary of cognitive linguistics*, Cambridge, Cambridge university press.

Fauconnier, Gilles, (1994), *Mental spaces aspects of meaning construction in natural languages*, Cambridge, Cambridge university press.

Fauconnier, Gilles, (1997), *Mapping in thought and language*, Cambridge, Cambridge university press.

Langacker, Ronald, (1982), *Space grammar analysability and the English passive*, language, 58(1), pp 22 - 80.

Miller. J, & Brown. K, (2013), *the cambridge dictionary of linguistics*, New York, Cambridge university press.